الحوار.. هو المخرج الوحيد والوسيلة المثلى لحل الأزمات والخلافات والتباينات

علي عبدالله صالح
رئيس الجمهورية

تعدت أسبابها الظلم والعزلة إلى الانتصار لقيم العيش الكريم

ثورة الـ«26» من سبتمبر 1962م .. وحتـــ

كان الحكم الإمامي يستنفر جزءاً من الشعب ضد الآخر

.. عندما تستحكم الهيمنة التسلطية على شعب من الشعوب ، وتحل محل احترام الإنسان وحقه المشروع في الحياة من علم وصحة وحرية واستقلالية في تحديد ثقافة ونمط العيش الكريم اللازم لكلٍ فرد، فإن الثورة تصبح فرضاً ومسؤولية تتحملها نخبة تلك الشعوب من الفقراء والجوعى والمقهورين الذين تنضج إرادتهم تحت وطأة الاستبداد والظلم وما يرافقهما من معاناة لا مثيل لها إلا ما حل بالشعب اليمني في حقب العهد الكهنوتي البائد المعروف بعهد بيت يحيى بن حميد الدين (الإمامة) الذي استوجب بجرائمه قيام ثورة إنسانية وهي ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م التي نقف اليوم وفي سباقات هذه المادة الوثائقية على أبرز أسبابها ودوافعها والأركان الإنسانية والتحررية التي قامت عليها انتصارات هذه الثورة الشعبية ومكاسبها العظيمة فإلى خلاصة ما ذهبت إليه تلك الوثائق والأسرار الثورية:

إعداد/ محمد محمد إبراهيم

في تصدير كتاب (أسرار ووثائق الثورة اليمنية) الذي ألفته لجنة من نخبة تنظيم الضباط الأحرار يقول أبو المناضلين اليمنيين القاضي عبدالسلام صبرة: (ثورة ٢٦ سبتمبر ليست وليدة الصدفة ولم تكن مصدرة من الخارج ولا أهديت إلى الشعب اليمني في طبق من فضة أو ذهب ، بل هي وليدة تضحيات جسام ونضال عنيف ومرير وكانت تتويجا حتميا لمعاناة الجماهير اليمنية وكفاحها الطويل عبر خمسين عاما ، فالتاريخ الحديث والمعاصر يثبت أن اليمن قدمت على طريق الثورة أشجع رجالها وخيرة أبنائها).

وأضاف المناضل عبدالسلام صبرة: وقد بدأت ثورة سبتمبر إذا ما شئنا الحقيقة مع الهمسات الأولى للمناضل المحلوي ورفاقه بعد تربع الطاغية يحيى حميد الدين على عرش اليمن وواصلت نموها مع أصوات المطاع ورفاقه ، ومع صرخات الزبيري والنعمان ونشاط مطيع ودماج وآخرون أمثال زيد الموشكي والخادم الوجيه ، ووعي وتضحيات آل أبوراس وبيت الشائف إلى جانب مواقف وبطولات آل القردعي والحميقاني.

وكانت هذه الثورة ثورة ٢٦ سبتمبر الوليد الشرعي والمكتمل النمو لثورة ١٩٤٨م ولحركة ١٩٥٥م وما تخللهما وتبعهما من أحداث وتمردات.

وعن حتمية الثورة جراء العزلة والظلم كقدر ارتبط باليمنيين قال المناضل القاضي عبدالسلام صبرة: (لقد ارتبط قدر اليمنيين بالثورة ومن ثم كانت حديثهم ومصيرهم وحديث من يرتبط بهم أو يتعرف على أحوال بلادهم وفي عهد الإمام يحيى حين كانت اليمن مغلقة في وجوه العرب والأجانب كان الأفراد القليلون الذين شاء لهم حسن الحظ وسوء الحظ أن يزوروا اليمن كانوا يخرجون منها وعلى ألسنتهم كلمة واحدة هي (الثورة) .. لا بد من الثورة لتحطيم هذه الجدران السميكة التي تحجب عن اليمن شمس القرن العشرين ، وقامت ثورة ١٩٤٨م محاولة لهدم جدران المعتقل الكبير الذي يأوي إليه اليمنيون في حيرة من أمرهم ، وكان حظ المحاولة الأولى الفشل فقد دفنها الطغيان وجعل الشعب في مهدها.

وجاء عهد السفاح أحمد حميد الدين وأراد تحت سطوة المزيد من النزوات والمجون أن يسير على نهج والده وأن تبقى اليمن كما كانت المقبرة الثابتة في العالم المتحرك ، ولكن عوامل الزمن وحتمية التغيير دفعت بعشرات من الأشقاء والأصدقاء إلى اليمن وكانت الكلمة التي تردد على شفاه الجميع دائما كلمة (الثورة) فالثورة وحدها هي الحل الأمثل والوسيلة الوحيدة لإزالة ذلك الركام الهائل من أسباب التخلف والانحطاط السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

إن الإصلاح والترقيع في مثل تلك الأوضاع والمنقطعة النظير لم يكن ليفيدا شيئا ، كان ضررهما أكثر من نفعهما فالمريض الذي يعالج بالمسكنات اتقاء ، وهذا هو ما حدث فقد كانت الثورة عملية لا بد منها فإذا كانت الثورة مطلوبة بالضرورة لأي شعب تتعرض آماله وأحلامه للضياع ، فإنها في اليمن ، حيث كان الإنسان يتعرض للانقراض ، حيث الوطن يتعرض للدمار تعتبر ضرورة الضرورات.

جوهر المعضلة في العهد الإمامي

من بداية تكون العهد الإمامي كنظام ملكي كان جوهر المعضلة التي تكتنف مستقبل اليمنيين آنذاك في ظل غياب المشروع الوطني لبناء المجتمع اليمني بعد أن يرحل المستعمر الأجنبي المتمثل في التواجد العثماني الذي أثقل كاهل اليمنيين بنظام اقطاعي تعددت فيه أساليب الالتزام الجائرة.

فعندما تحقق للشعب في شمال الوطن طرد الأتراك بعد الحرب العالمية الأولى لم يكن الإمام يحيى يملك أي تصور لطبيعة المهام التاريخية الجسام التي كان على الدولة اليمنية الحديثة أن تقوم بها فلا هو يطمح إلى تحقيق الوحدة الوطنية في الشمال بعد استقلال الدولة المذهبية الدينية كما أنه لم يستطع أن يعبئ قوى الشعب ضد الوجود الاستعماري في جنوب الوطن ، بل إن قصور وتهاون إعداد البلاد لمهام الدولة الحديثة المستقلة التي ستضطلع بمهام الاستقلال والوحدة والتطور ، وخسارة حرب عام ١٩٣٤م وما تلا تلك الفترة من حروب جعلت من أبناء الشعب اليمني يعتبرون أن الخطأ كامن في نهج الإمامة نفسه التي تفرغت بعد استقلال الشمال لتصفية كل الذين ساهموا في مقاومة الأتراك وإن الإمام أسير نظرة متخلفة مغرقة في الرجعية والتخلف ، وجل همه أن يرث الأتراك على أية رقعة يمكنه أن يحكمها حكما مطلقا فلم يكن الشمال وهو أول دولة عربية استقلت من الحكم العثماني من إحراز أي تقدم في أي مجال من مجالات الحياة الحديثة وبلغت العزلة الخانقة والظلم حدا رهيبا وكان سد الأحلام الجديدة هو الذي انهار هذه المرة ليوزع اليمنيين على المهاجر.

البطش والاستبداد

الأمر الذي جعل الحركة الوطنية مبكرة لحكم الإمام يحيى وقد لقيت كل دعوات الإصلاح بالرفض والجحود والتنكيل لأصحابها الذين طرد بعضهم وقضى على البعض بالسم الزعاف كرئيس تحرير مجلة الحكمة اليمانية الشهيد أحمد عبدالوهاب الوريث ، ومرورا بسجن وتنكيل الكثير من رموز تلك الدعوات وصولا إلى ثورة ١٩٤٨م التي لم تستمر سوى شهر حتى اسقطت تحت ضربات ولي العهد أحمد بن يحيى حميد الدين الذي أباح مدينة صنعاء للنهب والسلب في أبشع ممارسة انتقامية عرفها التاريخ ليطال جبروته وسيفه بعد ذلك كوكبة كبيرة من رجالات اليمن ورموزها الفكرية والتحررية والثقافية والتنويرية ناهيك عن فتح الباب على مصراعيه أمام عمال وعساكر الإمام والمشائخ المواليين له من غير الوطنيين لظلم الناس وفرض ضرائب وجبايات جائرة كعذر لاستقطاع الأراضي الزراعية ذات المحاصيل النقدية خصوصا